النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي "الآداب"

لبنان

ظاهرات جديدة ...

***

لا يزال المراقبون يلاحظون انبثاق ظاهرات جديدة في النشاط الثقافي في لبنان تثير علامات استفهام كثيرة .. لا سيما وانها تخرج الى المسرح بعد نكسة ٥ حزيران ، فتدفع الناس الى الاعتقاد بانها ليست بعيدة عن التيارات الاجنبية الخارجية التي يهمها ان تستغل هذه الظروف العصيبة التي يمر بها الوطن العربي لتحاول ان تزرع بذور الفرقة والفساد وتفتيت القوى الوطنية .

وقد تناول بعض النقاد اللبنانيين عددا من هذه الظاهرات في الفترة الاخيرة ، فتحدثت السيدة اميلي نصر الله عن « دار الفن والادب » التي وعدت أن تقف وراء النهضة الفنية والادبية ، كما جاء في بيان اصدرته منذ حين .

وتساءلت اميلي نصر الله :

هل تستطيع « الدار » أن تتجاوز نفسها وتهبط من برجها العاجي؟ هل يمكنها نفض الصفة الارستوقراطية الاجتماعية ، لتصبح دارا للفن والادب ، لا صالونا لاستعراض الوجوه الاجتماعية في هذا المجال ؟ وكيف يمكنها ذلك وهي تضع جدارا كثيفا بينها وبين الواقع ... فتلجأ الى لغة موليير وراسين ، تعتمدها لغتها الرسمية في بياناتها ، في دعواتها ، في مراكز اتصالها بالاخرين ... وأخيرا وليس آخرا ، في نهجها العام ؟

ان الوجه الاجنبي كان غالبا على دار الفن ، وهي بذلك لا تختلف عن المراكز الثقافية المرتبطة بالسفارات الاجنبية ، والتي تزخر بها عاصمتنا والحمد لله .

عفوا .. انا لا اتهم الدار او استبق الامور فاصدر عليها حكما ، واصفها بالارتباط الخارجي .. وحكم كهذا يترك للغد ، ولكن الكلمة لتذكير المشرفين على المؤسسة الثقافية ، وفي مقدمتهم السيدة جانين ربيز ، التي يعود لنشاطها وهمتها ومواظبتها الفضل في انشاء مثل هذا المركز الضروري .

لقد كانت الهوة ، التي تفصل بين مثقفينا ، واسعة وعميقة .

وكان من اثرها أن انقسم لبنان الادب والفن الى قطاعات او اقطاعيات يسيطر عليها ما اسميه « بطاركة أدب » يصنفون انفسهم قيمين على التوجيه الفكري والفني ، وينفون من حسابهم كل من يتمرد ، ولا يسير مع القطيع المصفق المتملق ، المسبح باسمهم في الندوات والمناسبات .. ويتجاهلون كذلك كل مخلوق لا يتحدث بلغتهم ولا ينضوي تحت لوائهم الرهيب .

وبسبب ذلك ، كانت هناك عزلة ، وكانت الفوضى والتشويش ، وكان ذلك التكالب على تقبيل الايدي أو النعال في سبيل الوصول الى المجد .

واضطرت الفئة الصادقة ، الاصيلة ، الابية ، أن تتراجع وتنعزل، وتعود الى شرنقة نفسها ، مصابة بقرف يقطع الشهية ، ويصدم النفس ، وقد يصل خطره الى حد خنق ملكة الخلق والابداع .

هذا كان حتى الان .

ونحن لا نحمل دار الفن والادب مسؤولية غيرها ..

انما نخشى ان تسقط ، مثلما سقط سواها ، وتتحول الى سفارة غريبة ، فوق ارض لبنان ! » .

وتحدث الناقد الادبي لمجلة « الاسبوع العربي » في بيروت الاستاذ ادوار أمين البستاني عن « ظاهرة » محاولة بعث الادب الفينيقي في لبنان ، فذكر انها خطة ترمي الى احياء هذا الادب ، تمهيدا لفصل التراث اللبناني عن التراث العربي .

وقال الاستاذ البستاني :

ولسنا ندري بالضبط الغايات البعيدة الكامنة وراء هذه المحاولة ، على صعيد الاجتماع والسياسة ، بل لسنا نرضى أن ننسب الى اصحابها معرفتهم بعواقبها المهدمة للشخصية اللبنانية ، وقصدهم الى تمويعها ، وانهم يقصدون ذلك قصدا برأي منهم او بدافع من جهة ما.. بل نريد أن ننسب اليهم براءة النية ، وسلامة القصد ، وان ننبههم بمحبة ورفق الى العاقبة الوخيمة التي تتربص بنا وراء ما يفعلون .

ان طبيعة هذه المحاولة ، وتوقيتها ، وما ترتبط به من دعوة الى التخلي عن الفصحى ، وشخصية القائمين بها وميولهم المعروفة تدفع كلها الى الريبة والحذر ، وان تكن غير دافعة الى الخوف والخطر .

فمن الوجهة اللبنانية الخالصة ، وبصرف النظر عن العلائق العربية ، تبدو المحاولة في غير مكانها ، لان تاريخ الفكر اللبناني منذ تسعة أجيال على الاقل ، كان مرتبطا في أديرته ومدارسه وجوامعه وقصوره ، باللغة العربية والتراث العربي ، وقد استطاع هذا الفكر اللبناني ، أن يؤدي ، من أرضه الضيقة ، رسالة للغة العربية في عصر النهضة ، لا يستطيع لبنان اليوم أن يتخلى عنها او أن يبترها من تاريخه الفكري . وكذلك يجد لبنان نفسه في حاضره ومستقبله أمام الرسالة نفسها ، وان كل محاولة لفصله عن مداه الحيوي الطبيعي وبالتالي لحرمانه من دور الريادة والقيادة لموجة النهضة الثقافية المستمرة من القرن التاسع عشر الى الحاضر والآتي .

ثم ان محاولة احياء الادب الفينيقي كادب قومي ، في هذا التوقيت بالذات ، اي بعد الخامس من حزيران ، هي محاولة من شانها أن تخلق بين صفوف المثقفين جدلا بيزنطيا جانبيا ، يلهينا عن القضايا الاساسية والمعضلات الحضارية الكبرى ، التي بدات تتفتق وتظهر بقوة، كما بدا الفكر اللبناني والعربي يعالجها بصدق وعمق ويوليها الاهمية الاولى بين قضاياه ومشاكله . ونحن نريد أن نعتصم بسلامة النية ، وان نفكر بان هذا التوقيت وليد المصادفة وحدها وانه راجع لالهام القائمين بالمحاولة لا لاي دافع اخر مجهول الهوية والمآرب فينا . لذلك نعالج الموضوع على انه مجرد مبادرات فردية التقت عفوا في وقت واحد ومكان واحد .

وبرغم ذلك فان أصحاب المحاولة يجهرون بعدائهم لكل ما يمت الى الحضارة العربية بصلة ، ويتذرعون بولائهم للبنان ، ليهدموا اجلى ما في شخصية لبنان من وجوه العطاء الانساني ، بل يجهدون في حركة دائبة (محاضرات في المدارس ، ونشرات ومقالات في الصحف، واحاديث في الندوات الخاصة) الى سلب لبنان لغة التعبير الفكري، لينزلوا الفكر نفسه الى مستوى العامية المحكية ، أي الى مستوى التعاطي اليومي في الشؤون العادية .

ولكن ما يطمئننا في ذلك كله ، ان المحاولة موجة سريعة التلاشي على وجه البحر الكبير . لان الحضارة المتنامية تندفع الى غايتها بقوة وتحمل معها في سيرها ركاما كثيرا .

ج.ع.م.

ثلاثية كاتب ياسين

***

هل يمكن ان يوصف عمل فني بالغموض ؟

واذا كان هذا العمل مسرحية ، معروضة ، فعلى من تقع تبعة هذا الغموض ؟ هل على المؤلف « صاحب النص » ؟ أم على المخرج « منفذ النص » ؟ أم على الجمهور الذي « لا يحاول الفهم » ؟

وفي مسرح « الحديقة الفرعونية » بالقاهرة تتردد هذه الاسئلة كل ليلة عقب الانتهاء من عرض مسرحيتي « الاسلاف يتميزون غضبا » و « مسحوق الذكاء » للشاعر الجزائري كاتب ياسين . فاذا ما حاولنا تلمس الاجابة الصحيحة عن هذه الاسئلة ، وجدنا أن الجمهور على حق ! والا فكيف يمكن الحكم على عمل شوهه البتر واضاع معالمه الاختصار ؟

« فحلقة الثار » التي قدم مسرح الجيب جزئين منها ، ثلاثية ينقصها الراس ، وهو مسرحية « الجثة المحاصرة » التي تدور احداثها في شارع « الفندال » من حي القصبة ...

وفي المشهد الاول نرى جزءا من الشارع تكدست في ركن منه جثث الجرحى والقتلى من المجاهدين ، وفي جزء اخر تقبع « عربة » عليها برتقال وخلفها البائع ، ثم الشجرة البرتقالة التي امتصت دم « الاخضر » المجاهد .

جماعة من رفاق الاخضر : حبيبته « نجمة » ، صديقاه « مصطفى وحسن » ، زوج أمه « طهار » ..

حوار قلق سريع متلهف حول اختفاء « الاخضر » : أميت هو أم حي ؟

« نجمة » حزينة ، تنشد باكية على حبها ، معتقدة ان « الاخضر » هجرها ، « طهار » المتداعي البليد العجوز يستنكر هذه الجلبة التي يشنها « الاخضر » ورفاقه ضد أسياده الفرنسيين .

اما أمه ـ التي لا تصدق أنه مات ـ فهي تيبس وتموت على نافذتها كل يوم في انتظار عودته !

وياتي نذير يبلغهم باكتشاف مخابئهم وخططهم ، فتدور طلقات نارية ، وتتساقط الجثث ثم ترتفع أكوام اللحم المجروحة والمقتولة . « الاخضر » يخرج متداعيا ، وتلمحه « نجمة » فتناديه وتجري نحوه وتسنده . ويحدثها ـ ناسيا جراحه ـ عن الجزائر والكفاح ، فتحدثه عن نفسها وحبها ! « وتنفجر أول هوة في علاقتهما » . يتراشقان بالتهم ويتعاتبان وهو متداع ومستند على البرتقالة ، ويشتد الرعب والزحام ، ويتساقط من حولهما الرصاص ، ثم ان نجمة تحاول الهرب ، و « الاخضر » يتشبث بالشجرة ، فتدعوه للحاق بها ، وحين لا يجيبها تتركه وتنجو هي . اما هو فيختفي من المنظر ولا يرى الا البائع ..

ويعود الصديقان .. فيسالان البائع عن الاخضر فيراوغ ويهددانه فيعترف انه رآه جريحا ممددا على الارض ، وان فرنسية هي بنت « القومندان » واسمها « مرغريت » حملته في سيارتها ..

ويندفع الصديقان الى منزل « القومندان » ومعهما « نجمة » ، فيجدان « الاخضر » في رعاية ابنته .. وبينما « مرغريت » تذوب حنوا وخوفا عليه ، تاكل الغيرة قلب « نجمة » . ويشتد النقاش ، ويعلو الصوت ، فيخرج « القومندان » من حجرته مستطلعا ، وحين يلمحه « حسن » يرديه بطلقة من مسدسه ! ويهرب الجميع بمن فيهم « مرغريت » بالاخضر .. غير انه يسقط في يد البوليس الفرنسي .. ويقدم للمحاكمة !

وفي السجن يصاب بالجنون ، ينوء بمأساته الذاتية وما تسلطه عليه من خيالات وتصورات ..

وبما يحط على جسده المضني من تعذيب وتنكيل ! ولا يعدمه جلاده ، وانما يخلون سبيله ليكون عبرة لغيره من المجاهدين ! ويخرج « الاخضر » من السجن حطاما فلا يجد في انتظاره الا « مرجريت » الفرنسية التي احبته .. ولا يستطيع « الاخضر » ابدا ان يحبها .. فهناك نجمة لا تزال !

ويعود الى شجرة البرتقال ، « ونجمة » التي تفر منه متوهمة ـ لهذيانه ـ انه فقد عقله .. وبينما « مرجريت » تصر على احتضانه ، وبينما تحذرها « نجمة » منه ، يثب « طهار » زوج أمه عليه غارسا في صدره السكين ... فيسقط « الاخضر » وتهرب المرأتان .. ويزحف مترنحا في دمه حتى يصل الى شجرته فيحتضنها ، ويجاهد حتى يتعلق بها ، ويلتف عليها ، مصلوبا يقطر في عروقها دمه لتورق شجرة الاستشهاد وتصنع الاسطورة !

وهنا تجتمع « جوقة الرجال » وتتحلق حول الشجرة معلنين عن خرابهم ، بينما يرتفع النواح والتعديد من « جوقة النساء » تقودها أمه .. وتساله ـ مجذوبة اليه دون ان تعرفه ـ عن « الاخضر » الغائب حي هو أم ميت ؟ ويجيبها : « وماذا تجني ارملة ابي حين تراني هكذا .. مقتولا بيد زوجها الثاني الذي لم تختره بعلا ؟ »

ويتعالى صوت « جوقة الرجال » محذرا :

« أيها المجاهدون .. يا ابناء حزب الشعب .. لا تتركوا مخابئكم.! ان ساعة القتال ما زالت بعيدة ... » .

وتصرخ الجوقة في « مصطفى وحسن » كانما تحدد لهما طريق العمل :

« الى الجبال .. اعتصموا بالجبال .. التجئوا الى الفلاحين .. استجمعوا قواكم » ويخيل للجميع ان « الاخضر » قد امتزج بالشجرة.. أصبح جزءا منها .. فكيف يمكن انقاذه وهو جسد ميت مصلوب ؟ ويتركه صديقاه هاربين للجبل ، بينما تثور الطبيعة وكانها تشيعه معلنة غضبة رهيبة من الريح والبرق والرعد .. مكونة خلفية مخيفة للمشهد الذي يكمل بصاعقة تحط على البرتقالة فتصعقها ويسقط جسد « الاخضر » تغطيه اوراقها الذابلة ، تتساقط عليه ، حاضنة اياه ، قبرا ضن به اصحابه عليه !..

ويتحول « الاخضر » الشهيد بعد ذلك الى «طائر الاسلاف» ، وتحل روحه في جسد النسر او العقاب الذي يحوم دائما مهددا متوعدا !...

وفي المشهد الاخير من المسرحية ، نرى « علي » الصبي ابن الاخضر ونجمة ينسلق الشجرة .. ويقطع فرعا منها يصنع منه مقلاعا يسويه بسكينه .. بينما « نجمة » تصرخ فيه :

ـ « انزل .. انزل .. هيا سامني هذه السكين ... »

ويجيبها : ـ « هذه سكين ابي .. انها سكيني »

فتقول : ـ « ارم البرتقال .. الم أقل لك الف مرة انه مسموم ؟ هيا انزل .. »

غير انه لا يأبه لها ويمضي في حشو جيبه به .. ثم يأخذ في رجم الجمهور بالثمار من خلال مقلاعه ... بينما يكون نشيد الكورس خلفية متصاعدة ، على صوت الطبول : « ايها المجاهدون .. يا ابناء حزب الشعب .. لا تتركوا مخابئكم ... » .

اما شجرة الاسلاف فستظل تورق من دم الاخضر الشهيد ، وتثمر فاكهتها من عصارته .. بينما هو قد تحول الى رمز دائم محلق لثورة الجزائر ..

وتنتهي « الجثة المحاصرة » أول أجزاء الثلاثية ليتبعها « مسحوق الذكاء » وهو الجزء الثاني ...

ومسحوق الذكاء « ملهاة » من نوع « الفارس » تطرد فيها الصورة الكفاحية للجزائر وتستكمل بها الملحمة صورتها الشعبية الاصلية على يد « سحابة الدخان » فيلسوفها الشعبي وجمهوره الذي يتبعه دون أن يفهمه ، والذي من خلاله يكتشف الفيلسوف حكمه ، ومقالبه المليئة بالعبر ، والسخرية المرة من حكام الشعب ودجاليه ومستغليه ..

فكان « مسحوق الذكاء » هي بداية الارهاص المقدس للثورة ... وهي اول الفوران الشعبي الفض وبدء الوعي بالواقع المر .. وهكذا

تنحل « الجثة المحاصرة » في دماء الشعب ، ويفعل « الاخضر » الشهيد فعله في جسده ، متغلغلا فيه ، مستجمعا قواه ، مسلما وحيده « علي » الى « سحابة الدخان » .

فيلسوفة وضميره ليعلمه .. وتتمخض « مسحوق الذكاء » عن الجزء الثالث والاخير من ملحمة الثار وهو اهم الاجزاء كلما وأصعبها .. فالثورة التي اشعلها مقتل « الاخضر » والتي بدات ترددا خافتا ضعيفا ، يبرق بين صفوف الشعب في « مسحوق الذكاء » يشتد اوارها في « الاسلاف » تذكيها اجنحة « العقاب » المحوم وتوقدها ضرباته التي لا تهدا .

وفي « الاسلاف » يستكمل « الاخضر الشهيد » لقاءه مع «نجمة» التي تصبح « المراة المتوحشة » ليصفي حسابه معها . وهو هنا يتخذ صورته الاسطورية العقاب .. طائر الاسلاف الذكر .. الذي لا يحوم حوله الريب .. الصقر الذي في مروره قضاء بالموت .. والذي يحوم فوق سكرات احتضاركم وكانه غارق في التامل ، « بعيدا لا يكل ! »

اما باقي شخوص « الجثة المحاصرة » فتستكمل هنا دورها ... وتسير كل شخصية نحو نهايتها مبلورة موقفها في حلبة الصراع ! فكورس الرجال الذي كان لا يجد ما يقوله للاخضر ورفاقه غير التحذير والنداء المستمر بالهرب واللجوء للجبل والاختفاء في الغابات يتغير موقفه الان ، ويتغير نداؤه الحذر المحذر ، الى صرخة صريحة داعية للثورة .

ونفس التغيير يحدث « لجوقة النساء » فيتغير صوتها الضعيف النائح النداب ، الى صوت اخر صارخ .

اما « حسن ومصطفى » فيظهران بعد غيبة عشر سنوات ليستكملا دورهما في حلقة الصراع ... وليأخذا بثار « الاخضر الشهيد » من « طهار » رمز الرجعية والخيانة .. وكان من الممكن لهما أن يكونا امتدادا لصديقهما لولا ان لفح الثورة المقدس ، يسقط في طريقه كل النوايا غير الخالصة ، ويعصف في هبوبه بمن يحمل في قلبه هوى غير هواها الحارق المدمر ... فمن تاسره الثورة .. لا يجد وقتا للتفكير في سواها .

وهكذا يسقط « حسن ومصطفى » ... يقتل احدهما الاخر من اجل شهوة آثمة لامراة صديقهما الراحل « نجمة » .

« نجمة التي قدر لها ان يتنازع الرجال لاجلها فحسب وانما ابوتها ... نجمة الزهرة التي لا يمكن استنشاقها ، الزهرة التي حددت حتى اعماق جذورها وادقها ... » (١)

ويلاقى الاخر ميتة اكثر شناعة وذلا ، ميتة تليق بالضعفاء والعاجزين ، فلا يستطيع ـ بعد ان قتل صديقا ، وخان ذكرى الاخر ـ ان يدافع عن الفتيات ، او عن المراة التي يحبها امام جنود العدو .. ويقف خائرا مرتعشا ، بينما يعيره الكورس النسائي ناعيا عليه جبنه وضعفه ..

غير ان الصقر الذي يحاول ان يسبق الجنود للفريسة ، راغبا في ضمها الى موكب الاسلاف .. يلهبه فيدخل معه في معركة حامية يفقد فيها بصره ويسيل من وجهه الدم .. وما زالت جوقة النساء تصعد نشيدها الحار :

وهكذا يدور « طائر الاسلاف » دورته ، ينقض على كل شيء مغيرا اياه .. مبدلا صمته الميت الى حياة ، وهو في خلال تحويمه وانقضاضه يزيد عدد من ينضم الى « موكب الاسلاف الذي لا يقهر » .. لقد مس صوته ومنقاره كل شيء .. (جوقة النساء .. جوقة الرجال .. طهار .. حسن .. مصطفى .. علي ..) ولم يبق الا « المراة المتوحشة » وهي ما جاء اساسا من اجله ! انه في تحويمه الدائم حول « نجمة » وفي مطاردته الدائبة لها ليضمها الى « ركب الاسلاف .. يعي مأساته » تماما .. مأساة « تواجده الخرافي » .. هذه التي تضل صوته ، وتحيط ظهره بالغموض والرعب ، فلا يصل نداؤه كما ينبغي ..

(١) نجمة ـ كاتب ياسين .

ارفعوا أصواتكم احتجاجا

***

أصدر الاتحاد العام لكتاب فلسطين بيانا استنكر فيه اعتقال السلطات الاسرائيلية للشاعر الفلسطيني محمود درويش .

وقد أهاب الاتحاد في بيانه بالمثقفين الذين يقودون الضمير العالمي ، ويؤثرون في أحكامه وفي رؤيته للقضايا النضالية المختلفة أن يثوروا على اسرائيل لاضطهادها للشاعر محمود درويش .. كما أهاب الاتحاد بأصحاب الضمائر الحية من مثقفي العالم كله أن يرفعوا أصواتهم بالاحتجاج على ما تلقاه الاقلام والافكار الحرة من عنت وارهاق وتنكيل .

ومع هذا فان ما يبتغيه هو « جزائر جديدة » « نجمة » اخرى تولد من جديد ..

انه هنا كي « يختطف » نجمة ليحاسبها على « تخاذلاتها » القديمة والجديدة ، فهو طائر « قبلوت » لا يرضيه الا الكمال التام ! (وهذا ما يفسره عدم استطاعته ان يحب « مرجريت » رغم حبها الباذل في « الجثة المحاصرة ») اما هي ، فما تزال تعيش تلك التخاذلات (موقفها منه وهو جريح في « الجثة المحاصرة » .. هو يكلمها عن الجزائر والكفاح ، وهي لا تفكر الا في نفسها وتشك في غيابه عنها . ، ثم مزارها منه وتركها اياه مجروحا تحت وابل الرصاص ملتصقا بشجرة البرتقال ... وبعد ذلك في عزلتها بعيدا عن ارض المعركة ، واجتنابها نساء بلدها ، واقامتها الدائمة وحيدة في « وادي المراة المتوحشة » ! ان نجمة تتحول بعد موت « الاخضر » الى « امراة متوحشة » موتورة كنمرة جريحة مكسورة كالجزائر التي تحاول في عناد واستماتة ان تقاوم بنفسها في محاولة عنيفة يائسة ... غير انها وهي الجريحة الدامية المشوهة الوجه ، الممزقة بين آلام الحرب واهوال التحرير .. لم تعد هي الجزائر التي يرضى عنها « قبلوت » ولذلك فيجب ان تموت !

وهكذا « فنجمة » هي « المراة الفولة ذات الدم القائم ! نجمة الوطن ! وطن الفلاحين ذوي السراويل المهترئة ، الذين تتقلص ارضهم تحت اقدامهم ، واقدام ابنائهم واحفادهم ، فاذا هي تلفظهم ، وتستعيض عنهم بسادة جدد يتبخترون فوقها بالبناطيل الضيقة ، والقبعات العريضة ! » (٢) .

وفي كل اعمال « كاتب ياسين » نرى ان « نجمة » هي الجزائر المضيعة ، الضائعة المعالم ..

ـ الشكل الدرامي عند كاتب ياسين ...

ينطلق مسرح « كاتب ياسين » من ارضين صلبتين ، فمن « التراجيديا اليونانية » يستلهم الشاعر شكله المسرحي ، ومن « الفلكلور العربي والبربري في شمال افريقيا » يستلهم روحه ، وحرارته الشعرية .. فثلاثية الثار في شكلها الدرامي ، ليست الا عودة للتراجيديا الشعرية في نقاوتها الاولى ، وخاصة عند « ايسخيلوس » ..

(٢) مقدمة « نجمة » .

فاستخدام « الكورس » كمعلق على الاحداث ، وكراو لها، وتقسيمه الى جوقة رجال وجوقة نساء على رأس كل منهما « قائد او قائدة » ، .. ثم التقليل من عدد الممثلين في المشهد الواحد ، كل هذا يذكرنا خصوصا « بالفرس » ، « والضارعات » ...

ووظيفة « الكورس » عند كاتب ياسين لا تقف عند «رواية الاحداث» او « التعليق عليها ، بل تتعداها الى « الاشتراك الفعلي في عملية التمثيل أو تجسيد الحدث » .. (كما في مسحوق الذكاء عندما ترفض الجوقة الشهادة مع التاجر ضد سحابة الدخان ، وفي مشهد سرقة حمار الفيلسوف ، وايضا في الاستفتاء عن الافطار ... كما نراها ايضا في « الاسلاف » .. مشهد اعطاء السلاح للنساء ، والتصدي الاخير لجنود الاعداء بعد سقوط « حسن » وهزيمة « مصطفى » امام العقاب) ورغم أن الشاعر يكتب بالفرنسية الا ان القارىء أو المشاهد لمسرحياته سواء بها ام بالعربية ، لا يستطيع ان يتجاهل تلك الروح الشرقية الخلابة التي تشع من كلماته فيما يشبه السحر ! عن الادب الشعبي العربي ، ومن نوادر « جحا » ومواقفه الساخرة المعروفة استلهم الشاعر شخصيته « سحابة الدخان » فيلسوف الشعب الظريف ومعلمه، بل ان اسطورة « العقاب » نفسها ليست الا الخرافة العربية الشائعة عن ان روح القتيل تتجسد ليلا في طائر « الهامة » الخرافي الذي يحوم كل ليلة حول مكان الموت صارخا : « اسقوني .. اسقوني » ولا يهدأ حتى ياخذ بدم القتيل !

ومن « اغاني البربر » في شمال افريقيا يستمد الشاعر حرارة التعبير الشعري وصدقه ... فجاء شعره قاسيا نفاذا ، اشبه بالنبت البري في ضراوته وامتداده ، وتشعبه !

بقي شيء اخر فيما يتعلق بموضوع الصراع في المسرح : فصراع « كاتب ياسين » .. ليس مع القدر كابطال المآسي الاغريقية ، وانما مع عدو مستعمر ومع واقع يراد تغييره .. « فالانسان الذي يكافح السماء، هو القمر الصناعي ... ولكن اذا دار الحديث عن ماساة الجزائر ، فلا يوجد هنا سوى مخرج واحد : النضال ضد المستعمر في سبيل الاستقلال والتحرر » (١)

وماذا عن الاخراج ؟؟

كما سبق فمسرحيتا « مسحوق الذكاء ، والاسلاف تتميزان غضبا » هما الثلثان الاخيران من العمل .. وبالطبع فان بتر عمل متكامل كهذا ، واجتثاثه في جزء منه ، يمكن ان يعد مسؤولا الى حد كبير عما لصق بعرضه من غموض أو عدم تقبل !

فالشخصيات ـ كما رأينا ـ تستمر طوال الثلاثة اجزاء تقريبا ، وتتصاعد في نمو مطرد من أول جزء في الثلاثية الى اخر جزء فيها .. فكيف يمكن اذن لاي جمهور مهما بلغ مستواه العقلي والثقافي ان يعلم ان « العقاب » هو « الاخضر الشهيد » مبعوثا ؟ وان « طهار » الخائن الانتهازي هو زوج الام القاتل ؟ وان « علي » هو ابن الاخضر ونجمة ؟

وهل مجرد قول « نجمة » عن « العقاب » « انه الاخضر القديم » كاف لان يعرفنا من هو الاخضر ؟ ما قصته ؟ وكيف وصل الى حالته الخرافية تلك ؟؟

ثم ان هذا العمل بالذات ، ليس مجرد عمل فني هدفه الامتاع فحسب !. وانما هو ملحمة ثورة ، وموضوع كفاح مرتبط بجذور تاريخية، وقضايا قومية معقدة ومتشعبة المفاهيم ووجهات النظر .. بل ان لغة « كاتب ياسين » الشعرية نفسها « لغة مليئة بالرموز والصور التي تنوء بما يريد ان يحمله لها من معان ودلالات » مما يجعل العمل صعبا اذا عرض بأكمله على متفرج يراه للمرة الاولى ! فكيف به ان شوهه البتر وارهقه الاختصار ؟

ان وظيفة « المخرج » ببساطة هي « تحقيق الحياة في النص » وفي سبيل هذا له أن يفسره اي تفسير يقتنع به ، وان يراه من اية وجهة نظر يراها ملائمة ، بشرط ان يحتمل النص هذا التفسير ولا يتعارض مع هذه الرؤية !

أما ان ينخذ مخرج النص المسرحي « مطية » يعرض على حسابها مدى مقدرته وبراعته الحرفية ، فهو التعسف الذي يخرج به عن حدود الامانة التي تتطلبها وظيفته !

وهذا ما فعله « كرم مطاوع » ... بالرغم من ثقافته الفنية ، وبالرغم من درايته الكاملة بمقتضيات عمله وحدودها ، فقد جاء العرض أشبه « بكرنفال » تشكيلي من الحركة واللون والموسيقى والكلام الذي ضاع في غمرة الاهتمام بالجزئيات الاخراجية الاخرى !

وهو ـ كمخرج ـ يتميز ببراعة كبيرة في استغلال كل جزء من اجزاء المسرح ، ويستطيع ان يفجر المساحة المحدودة عليه الى ابعاد ومساحات رحبة لا متناهية ـ وقد يكون هذا ممكنا عن طريق استخدام اللون وحيل المنظور المختلفة ـ اما الجديد .. فهو ان يتم هذا عن طريق الاداء الحركي المتناسق والمدروس ... وربما كان هذا مرضيا اذا تناسينا النص ، وقنعنا من العرض بمجرد المتعة ! الا ان هذا لا يعفيه من اصراره على وضع المتفرج في « متاهات جمالية » واستقطاب انتباهه ووعيه باجتذابه داخل مجال ساحر من الابهار السمعي والبصري فقط ! متناسيا ان للعمل الدرامي اولا واخيرا مضامين ووجهة نظر معينة ينتظرها عقل المتفرج وخاصة في مثل هذه الاعمال ! فلقد اعتمد كرم مطاوع في هاتين المسرحيتين كما في مسرحية « يرما » التي قدمها قبل ذلك فوق مسرح الجمهورية على تلخيص ، وتبسيط الديكور ، ثم تجميده طوال فترة العرض تقريبا !

وبالنسبة لمسرحية تحتاج قدرا كبيرا من المتابعة والتفكير فهذا مناسب تماما ، غير ان هذا الضجيج الصاخب المتواصل من «العقاب» مضافا اليه الاضاءة والاظلام السريع المتعاقب قد أفسدا هذه البساطة ، وزاد عليها هذا « العواء الموسيقي » الشبيه بما تقدمه فرق « الموالد وحفلات الذكر » ...

وتجرنا هذه الملاحظة الى كلمة عن « الموسيقى المسرحية » ...

المعروف ان وظيفة الموسيقى في العرض المسرحي تحضر في الاتي : فهي اما ان تكون بمثابة عنصر مكمل للنص ... بمعنى مرافقة وتأييد اتجاه الانفعال ، واما ان تفسر المواقف او تضفي عليها شدة انفعالية .. هذا هو دور الموسيقى في « المسرح الدرامي التقليدي » .. اما عند « بريخت » فهي « اداة تعطي فهما مستقلا خاصا بها .. ولا يهم ان يكون مخالفا او منابذا للتوقع الوجداني للموقف ! »

وبالطبع فان « آتفه » وظيفة للموسيقى الدرامية واضعفها هي « الغنائية المفردة » وهذا ما حدث بالضبط « وفي جزء الاسلاف بالذات » .. رغم أن الكاتب يصر على انه : « لا موسيقى الا ضربات متواصلة ، او متقطعة على الجونج ... »

(١) حديث للشاعر في مجلة النقد الجديد العدد ١١٢

صدر حديثا

ابن الضيعة الغد

ديوان جديد
من وحي النكسة
للشاعر
حسن عبد الله القرشي

٢٥٠ ق.ل دار الاداب

اما في « مسحوق الذكاء » فربما كانت هذه الفنائية مناسبة ومن هنا فلا بد من مراعاة التفرقة بين ما يتطلبه « الفارس » وما تحتاجه « روح التراجيديا » !

ان « عملية التمثيل » هي عملية امتزاج وتزاوج بين الدور والممثل، تتم على مرحلتين : الاولى : هي مرحلة التفهم والادراك العقلي ، والثانية: وهي من الاحساس ، والتأثر والانفعال الوجداني .. وبتمامهما .. يتقمص الممثل دوره تقمصا كاملا ومقنعا ... وبالطبع فلن المرحلة الانفعالية لا يمكن الوصول اليها الا بعد اجتياز مرحلة الفهم العميق الكامل .. والذي اذا لم يتم تحقق الانفصال الخطير بين الدور وممثله ، وخرج الكلام باردا وميتا !

وهذا بالضبط ما حدث بالنسبة لجوقتي الرجال والنساء على السواء .. وفي المسرحيتين وتجد في « هذه الاستدعاءات الانفعالية الضائعة التي كانوا يحاولون بها جذب انفسهم للدور او اعطاء كلامهم مرارة الاقتناع ، وايضا في انصراف كثير من افراد المجموعتين ـ في فترات سكوتهم ـ الى ملاحظة بعضهم او القاء نظرات « الترحيب » على المتفرجين !

شيء صعب تماما ان يحس الممثل ان دوره « فضفاض » عليه .. كما حدث بالنسبة لرئيس جوقة الرجال وقائدة كورس النساء !

وتتضح خطورة هذا الانفصال اذا ما عرفنا ان « الكورس » عند « كاتب ياسين » يقدم بنفس الدور اليوناني .. فهو لا يخرج عن كونه « مجموعة من اهل المدينة» وهذا يعني علمهم بما يدور حولهم ويشتركون في التعليق عليه ومراقبته ...

وعند « شاعر الجزائر » يزيد دور المجموعة بالمشاركة التي تقدمها في « تجسيد الحدث » مما يفترض الانتباه والاستغراق مع الوعي التام!

اما قيام بعض الشخصيات « بأدوار مزدوجة » ـ مثل عباس فارس في « السلطان والمحارب القديم » ؟ وعبد الرحمن أبو زهرة في « سحابة الدخان ومصطفى » ؟ ومحسنة توفيق في « عتيقة ونجمة » ـ فقد ادى الى وقوع المتفرجين في كثير من الخلط واللبس كانوا في غنى عنهما خاصة وان الجزئين متتاليان مما لا يترك للمتفرج فرصة كي يتخلص من تأثراته بالادوار السابقة والقائمين بها !

وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع ممثل مثل « ابو زهرة » ان يكون مقنعا وظريفا في تمثيله « سحابة الدخان » اما في « مصطفى » فقد كان اضعف بكثير ... وان كان افضل من « محمد سالم » الذي كان أداؤه باردا ونطقه للحروف رخوا لينا مما لا يليق بمجاهد تشرد واخشوشنت تصرفاته وكلماته !

اما « محسنة توفيق » ـ وهنا تكمن المغالطة ـ فقد استطاعت بما تملك من ليونة ومقدرة حركية فائقة ان تغطي عدم فهمها للدور او اقتناعها به ، وبالتالي فقد اغرقتنا في تشكيلة عجيبة من التشنجات والتثنيات غير المبررة أصلا .. والتي حاولت ـ بسذاجة ـ ان تجعلها مرعبة وتجعلنا نخاف ـ ولولا ما تكتنزه من طاقات انفعالية ضخمة ظلت تستجديها دائما لشحنها وانقاذها » لسقطت بها نجمة سقوطا لا يبرره نجاحها الرائع والمذهل في « كاسندرا » !

والسؤال الان : كيف استطاعت ان تقترب كل هذا الاقتراب من كاهنة « ابوللو » « في اجا ممنون » ؟

ولم تجد نجمة الجزائرية مكانا لها في اعماقها ؟

... وبعد : فان غموض هذا العمل بصورته التي قدم بها على مسرح الجيب .. القيت اولا على عاتق المخرج .. راجيا اياه ان يفسح « للمؤلفين المساكين » حيزا ـ اظن انهم يستحقونه ـ بجانب اضوائه والوانه وصخبه !

ـ ثم يقع اللوم بعد ذلك على السادة الممثلين والممثلات مطالبا اياهم بقليل من التعب في تفهم النص وقليل من القراءة حوله .. رحمة بأنفسهم من وقفة مثل هذه لا تسر !

القاهرة

اسامة ابو طالب

ايام البيت المغلق

ديوان الشعر المنتظر
للشاعرة العربية الكبيرة

فدوى طوقان

المجموعة الشعرية الاخيرة التي وضعتها شاعرة النكبة فدوى طوقان ، وهي تضم طائفة من القصائد الجديدة المستوحاة من مأساة الشاعرة ومأساة كل عربي مزقته كارثة فلسطين .

صوت ندي بالاسى والدمع يجيئنا من الضفة الغربية ، يحدثنا عن آلامنا ونكبتنا أعمق الحديث وأشده حزنا .
اخر ديوان لصاحبة « وحدي مع الايام » و « وجدتها » و « أعطنا حبا » .

الثمن ٢٠٠ ق. ل

صدر حديثا